KADHAYA TARIKHIA

قضايا تاريخية

ISNN :718X EISSN : 2802-6031

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/228

نماذج من الدور العسكري للخيالة النوميدية من الحرب البونية الثانية إلى نهاية فترة حكم الملك يوبا الأول

218– 46 ق.م

Examples of the military role of the Numidian cavalry from the Second Punic War to the end of the reign of King Juba I 218–46 BC

* د/ بلعيبود بدر الدين

جامعة الجزائر02 (الجزائر)، badreddine.belaiboud@univ-alger2.dz

المجلد: 09 العدد: 02 السنة : ديسمبر2024 الصفحات: 03- 21

تاريخ الاستلام: .2024/10/31 تاريخ القبول2024/12/09 تاريخ النشر: 2024/12/14م

ملخص:

لعب الخيالة النوميديون دورا في الحروب التي شاركت فيها، سواء في الجيش النوميدي أو كفرق مساعدة أو مرتزقة في الجيش القرطاجي أو الروماني، واستطاعت في كثير من المواجهات أن تحسم المعركة وترجّح الكفة لصالحها، وجاء أول ذكر للفرسان النوميديين خلال الحرب البونية الأولى على لسان "بوليبيوس" في صقيلية، ليتوالى ذكرهم من طرف المؤرخين والكتاب الذين تناولوا الحروب والصراعات التي شاركت فيها الخيالة النوميديون وكتب الكثير منهم عن فعاليتها العسكرية، ومن خلال بعض المعارك التي شارك فيها الفرسان النوميديون ولعبوا فيها دورا فعالا وحاسما خلال فترة الممالك المستقلة.

كلمات مفتاحية: الفرسان النوميديون، الحروب البونية، الجيش الروماني، معركة كاناي، معركة زاما

Abstract:

The Numidian cavalry played a role in the wars in which it participated, whether in the Numidian army or as auxiliary or mercenary troops in the Carthaginian or Roman army, and it was successful in many clashes. The first mention of the Numidian horsemen dates back to the First Punic War by Polybius. In Sicily, they were mentioned several times by historians who dealt with the wars and conflicts in which the Numidian cavalry participated, and many of them wrote about their military effectiveness and about some of the battles in which the Numidian horsemen participated and played an effective and decisive role during the period of the independent kingdoms.

Keywords: Numidian horsemen; Punic Wars; Roman army; Battle of Cannae; Battle of Zama

- مقدمة:

يذكر الكتاب القدامى إفريقيا في كتاباتهم إلا إذا تعلق الأمر بعلاقات مباشرة أو غير مباشرة بالإغريق أو بالرومان، وجاء في كتابات الكثير منهم وصف الحروب والمعارك التي كان فيها الرومان طرفا أساسيا، وكانت إفريقيا مسرحا لكثير من الأحداث الكبيرة التي كان لها تأثيرا كبيرا في مجرى تاريخ المنطقة، وفي خضم وصف الحروب والمعارك تعرض المؤرخون للخيالة النوميديين في مختلف المواجهات العسكرية التي شاركت فيها، سواء في الجيش النوميدي أو كقوات مساعدة في جيوش أخرى، هؤلاء الفرسان الذي قال عنهم "تيتيوس ليفيوس" (Tite-Live) بأنهم أفضل الخيالة في إفريقيا على الإطلاق(Tite-live, 1988, pp. XXIX, 35, 8) ، وفيما يلي سنعرض بعض النماذج العسكرية التي كان للخيالة النوميديين دورا حاسما فيها.

2. طبيعة الفرسان في الجيش النوميدي:

يمكن أن نميز عند النوميديين نوعين من الخيالة: الخيالة النخبة وهم الفرسان الدائمون، والخيالة الاحتياطيين هم الفرسان الذين يستدعون عند اندلا ع الحروب وعند الحاجة، وكان هذا التقسيم موجود قبل الملك "يوبا الأول" حيث كانت لملوك نوميديا فرسان نخبة نظاميين لا يشاركون إلا في المواجهات الكبيرة، غير أن هذه الفرق تختلف عن الخيالة الخفيفة فيما يخص السرعة وسهولة الحركة والمناورة، بالإضافة إلى الفرسان المرتزقة الذين وظفوا في الجيوش النوميدية حسب الأوضا ع والظروف (Ait Amara, Numides et Maures au combat. Etats et armées en Afrique du Nord jusqu'à l'époque de Juba Ier, 2013, pp. 85,88).

1.2 الفرسان الدائمون:

يعتبر الحرس الملكي والحاميات في مختلف المدن النواة الصلبة التي تقوم عليها القوات النوميدية، وكان الجيش يوزع على شكل وحدات تحت قيادة ضباط ويتولون تدريبه من ذوي التجربة والخبرة في الحروب والقدرة على فرض النظام، كانت هذه القوات أكثر تجهيزا ومزودة بالأسلحة الهجومية والدفاعية، وأشارت المصادر إلى تكوين فيالق من المشاة ثقيلي العدة، كما كانت خيول الفرسان الدائمين تحمل الشكيمة، وجاءت إشارات في المصادر الأدبية حول ذلك، وهو ما أشار إليه "الكاتب المجهول" (Pseudo-César) في حديثه حول "يوبا الأول" عند التحاقه بالقائد "سكيبيو" (Scipio) على رأس قوة مشكلة من ثلاث فرق من المشاة الثقيلة وثمانمائة من الفرسان النوميديين النظاميين وعدد كبير من الفرسان النوميديين غير النظاميين الذين لا يستخدمون اللجام وجزء كبير من المشاة خفيفي العدة وثلاثون فيلا.(Pseudo-César, 1997, p. XLVIII) وهو النص الذي يفهم منه وجود نوعين من الفرسان:

لهم، وكان في هذه القوات النظامية الفرسان والمشاة وقد أشاد المؤرخين بالدور الذي كان يلعبه الفرسان في القوات النوميدية، فإضافة إلى الخيول الجيدة وكثيرة العدد بناء على تلك المصادر فقد اشتهر النوميديين بالفروسية التي كانت رياضتهم المفضلة، ما جعل نسبة الفرسان تكون مرتفعة في هذه القوات (Tite-live, 1988, p. XXX)

2.2 فرسان الاحتياط:

إضافة إلى الوحدات النظامية نجد وحدات الاحتياط التي تجند عند اندلاع الحرب وتسرح بمجرد انتهاءها، وما يدل على هذا ما أورده "تيتيوس ليفيوس" حين يتحدث عن تسليم "سيفاكس" الأسلحة والخيول للعديد من النوميديين الذين جندهم، وأنه قدم حشدا من الفلاحين الذين زودهم الأسلحة والخيول، وأكد أنه سيجند كل الذين يمكن تجنيدهم في مملكته (Salluste, 1968, p. LXXX) ، مما يدل على إمكانيات التجنيد الكبيرة في المملكة، ورغم نقص التدريب الذي قد يبدو عند هؤلاء الاحتياطيين الذين يتدربون تدريبا خفيفا، غير أن هذا النقص تعوضه الصفات القتالية التي يتمتع بها النوميديين: قوة التحمل والخفة والشجاعة (Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, II, 1918, p. 149)

3.2 الفرسان المرتزقة:

تشير بعض النصوص إلى استخدام الملوك النوميديين المرتزقة من الليغوريين والتراقيين والإيبريين، فقد تحدث "سالوستيوس" عن ليغوريين وتراقيين في صفوف قوات "يوغرطا" (Salluste, 1968, p. LXXX) ، وتحدث "الكاتب المجهول" عن فرسان غاليين وإيبريين قاتلوا في جيش "يوبا الأول".

3. أنواع الخيالة النوميدية:

يمكن تقسيم سلاح الخيالة النوميدية حسب تسليحها وتدريبها ومهامها إلى نوعين:

1.3 الخيالة الثقيلة:

لا نملك إلا القليل من المعلومات حول الخيالة النوميدية الثقيلة في الفترة التي سبقت حكم "يوبا الأول"، وبالرغم من أن النوميديين كانوا في اتصال دائم مع القرطاجيين والرومان لاحقا إلا أنهم لم يتأثروا بهم كثيرا في المجال العسكري، وآثروا الاحتفاظ بتقاليدهم في مجال الفروسية. (Ait Amara, Numides et Maures au combat. Etats et armées en Afrique du Nord jusqu'à l'époque de Juba Ier, 2013, pp. 46-47) لم تذكر الخيالة النوميدية الثقيلة من طرف الكتاب القدامى بشكل صريح إلا في فترة حكم الملك "يوبا الأول"، حيث كانت الخيالة في هذه الفترة مجهزة وتختلف عن الخيالة الخفيفة التي لم تكن تستخدم السرج واللجام، وأطلق على الخيالة اسم فرسان النخبة، وأشار "الكاتب المجهول" إلى الخيالة الثقيلة للملك "يوبا الأول" بأنها وحدات جندت ودربت لتشكيل

الحرس المقرب، وتتميز هذه الخيالة بأنها فرق منظمة ومشكلة من خيول مسروجة وملجمة (Pseudo-César, 1997, pp. XVIII, 1)

2.3الخيالة الخفيفة:

عرفت تقاليد الفروسية للنوميديين من خلال المصادر الأدبية، فـ"سترابون" يقول عن النوميديين أنهم يقاتلون في أغلب الأحيان ممتطين الخيول ويحملون رماحا، ولا يستخدمون لجاما ويمتطون خيولا من دون سروج، وكان الفارس يستخدم طوقا من حبل نباتي أو من شعر، وخيولهم صغيرة وطيّعة يقودونها باستعمال عصا صغيرة، ويتبع الحصان الفارس كما يتبع الكلب سيده،(Strabon, 1819, pp. XIV, 7) هناك الكثير من الكتاب القدامى الذين أشاروا إلى فعالية الخيالة الخفيفة حيث يرجع "سيليوس ايتاليكوس" ذلك إلى الشروط الطبيعية التي تشجع الفروسية وتشجع تربية الخيول حيث يقول: "هنا يركض الفرسان النوميديون بكل حرية على خيول بدون أعنة يقودونها فقط باستعمال عصا صغيرة على عنق الحصان، وهذه العصا لها نفس الدور والفعالية مع اللجام" (Italicus, 1979, pp. I, 13)

4. دور الخيالة النوميدية في الحروب:

1.4 الخيالة النوميدية في الحروب البونية:

جاء ذكر الخيالة النوميديون لأول مرة من طرف المؤرخ اليوناني "بوليبيوس" حين تناول القائد القرطاجي "حنون" في صقيلية خلال الحرب البونية الأولى (Polybe, 2004, pp. I, 5) ، كان للفرسان النوميديون حضورا في كل المواجهات المهمة في الحروب البونية الثلاث، وكان لهم في الكثير من المعارك دورا أساسيا وحاسما، وكان يعتمد عليهم الكثير من القادة القرطاجيون على غرار القائد "حنبعل" الذي كان يضم جيشه الآلاف من الفرسان النوميديين، وفيما يلي نعرض بعض المعارك التي شاركت فيها الخيالة النوميديين تحت قيادة حنبعل:

- **معركة تريبي:**

وقعت معركة تريبي (Trébie) أواخر ديسمبر 218 ق.م جنوب سهل البو (Pô) على الضفة اليسرى لنهر تريبي، الذي عبره القنصل "سمبرونيوس" (Sempronius) مع جنوده قبل طلوع الشمس بعد أن استدرجته مجموعة من الفرسان النوميديين، وهو ما خطط له القائد حنبعل بعد انتصار الجيش القرطاجي في معركة تيسين (Tessin) التي جرت بين الطرفين بداية سنة 218 ق.م (Le Bohec, 2014 , p. 173) .

وضع "حنبعل" فرقة المشاة الثقيلة طوليا على خط مستمر، وفي طرفيها واصطف المشاة الغاليين والأفارقة، وفي الأمام اصطفت فرقة المشاة البلياريين، وفي كل جناح فرقة من الفرسان مع عددا من الفيلة، كما اختبأت فرقة

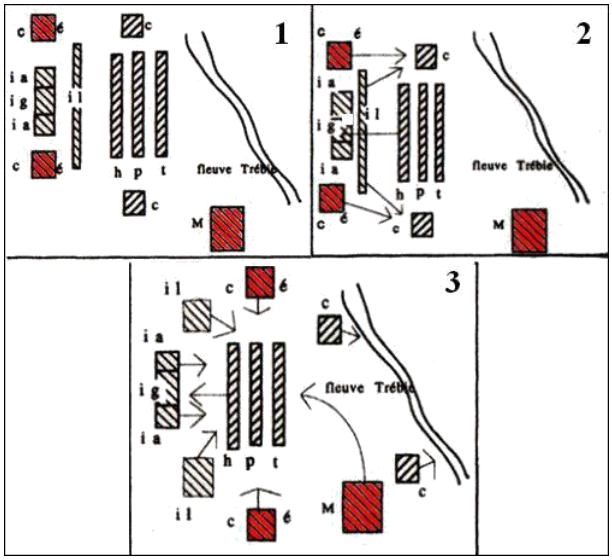
مشكلة من ألف فارس وألف من المشاة خلف خطوط الجيش الروماني.(Ait Amara, 2009, p. 56) (الشكل: 1، القسم: 1)

بدأ الهجوم من طرف المشاة الرومان حيث استطاعوا التوغل في وسط الجيش القرطاجي، أما في الجناحين فالعملية كانت عكسية حيث استطاع الخيالة النوميديون مع الفيلة الانتصار على الخيالة الرومان، ووصف "بوليبيوس" طريقة قتال الفرسان النوميديين، حيث انقسموا إلى مجموعات صغيرة يقومون بالتراجع ليعودوا الهجوم مجددا ككتلة واحدة بكل جرأة (Polybe, 2004, pp. III, 2, 72) . (الشكل: 1، القسم: 2)

حسب المؤرخ "تيتيوس ليفيوس" فإن القائد الروماني "سمبرونيوس" أمر بتراجع الخيالة الرومان التي أوكلت لها مهمة التوغل وزرع الفوضى في الجيش القرطاجي، ولما رأى قوة الفرسان النوميديين ومقاومتهم (Tite-live, 1988, pp. XXI, V, 55). وربما أراد المؤرخ الروماني أن يغطي فرار الفرسان الرومان وحلفائهم تحت ضربات الفرسان النوميديين وفسره كتراجع تكتيكي أمر به القنصل الروماني.

إثر تحييد خيالة الجيش الروماني من طرف الفرسان النوميديين الذين عادوا وهاجموا المشاة الرومان من الجانب، وفي نفس الوقت ظهر القائد القرطاجي "ماغون" مع الفرسان والمشاة الذين تخفوا وراء خطوط العدو ليشنوا هجوما على مشاة الجيش الروماني من الخلف، ليجدوا أنفسهم وقعوا في فخا محكما، وتكبد الرومان خسائر كبيرة في الأرواح، واستطاع " سمبرونيوس" بالنجاة بنفسه رفقة عشرة آلاف من الجنود الرومان (Le Bohec, 2014 , p. 175) (الشكل: 1، القسم:)

الشكل 1: مخطط معركة تريبي (بتصرف)



المصدر: (Le Bohec, Y., 2014, p.174)

- **معركة كاناي:**

تعتبر معركة كاناي من أكبر المعارك في التاريخ القديم، جرت هذه المعركة في 02 أوت 216 ق.م على الضفة اليمنى لنهر "الأفيدوس" (Aufidus) وهو ميدان مناسب للخيالة، وقد حذر من ذلك القنصل "إمليوس" (Aemelius) ونصح بتجنب خوض المعركة هناك لأنه يمنح أفضلية للفرسان النوميديين (Polybe, 2004, pp. III, 3, 117).

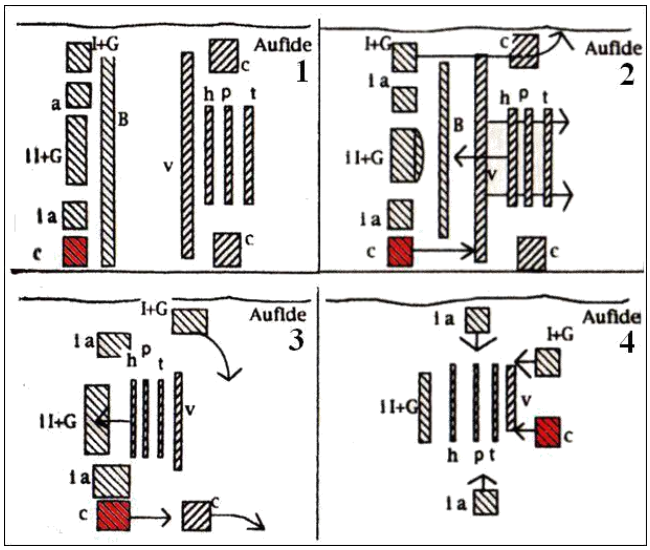
كان جيش "حنبعل" مشكلا من أربعين آلف إلى خمسين ألف رجل، منهم عشرة آلاف فارس، وكانت الصفوف مشكلة على النحو التالي: تمركز في الوسط المشاة الغاليين والإيبريين، وعلى جنبيهما اصطف المشاة الأفارقة ذوي التسليح الثقيل، وفي الجناح الأيسر كان الخيالة النوميديون والإيبريون تحت قيادة "اصدربعل"، وفي مقدمة الجيش اصطف رماة القذائف، وكان يضم الجيش الروماني ثمانين ألف رجل منهم ستة آلاف فارس، كان الجناح الأيسر تحت قيادة القنصل "فارون" (Varron) يضم فرسان من حلفاء الرومان، والجناح الأيمن شكله الخيالة الرومان

تحت قيادة "إمليوس"، أما المشاة فتشكلوا وفق تقاليد الجيش الروماني. (Le Bohec, 2014 , p. 192) (الشكل: 2، القسم: 1)

أمر "حنبعل" في بداية المعركة تقدم المشاة الغاليين المتمركزين في وسط الجيش، حيث تشكل خط محدب قبالة الجيش الروماني وهو ما جعل هذا الأخير يركز أغلب هجماته ليرد هذا التقدم الموضعي، وفي الوقت الذي كان فيه الغاليين يقاومون ضغط الرومان كان خيالة الجناحين تتغلب على نظيراتها، حيث قضى خيالة "اصدربعل" على الخيالة الرومانيين واستطاع الفرسان النوميديون دفع خيالة الجيش الروماني المقابلة لها إلى الوراء، قبل أن يعود "اصدربعل" لدعم للقتال مع الخيالة النوميديين وبذلك تم تحييد نهائيا سلاح الخيالة الرومان (Le Bohec, 2014 , p. 192). (الشكل:2، القسم:2)

استمر المشاة الغاليون في مقاومة هجمات القوات الرومانية، واستدار المشاة الأفارقة ربع دورة للتقدم إلى الأمام لاحتواء مشاة القوات المعادية من الجانبين، وهاجم الفرسان النوميديون والغاليون والإيبريين من الخلف لتجد القوات الرومانية نفسها وقعت في فخ مطبق ومحاصرة من كل الجهات، وكانت هذه المعركة كارثة حقيقية على روما، حيث تكبدت فيها خسائر فادحة قدرت بخمس وأربعين ألف قتيل من بينهم القنصل " إمليوس" وعشرين ألف أسير واستطاع خمسة عشرة ألف رجلا من الفرار، بينما لم يخسر الجيش القرطاجي سوى خمسة آلاف وسبعمائة قتيل (Polybe, 2004, pp. III, 3, 117) (الشكل: 2، القسم: 3)

الشكل 2: مخطط معركة كاناي (بتصرف)



المصدر: (Le Bohec, Y., 2014, p.191)

2.3 الخيالة النوميديون في حروب "ماسينيسا":

دخل "ماسينيسا" والأفارقة التاريخ من خلال الحروب البونية، وبالرغم من أن فترة حكم "ماسينيسا" طويلة غير أنها غير واضحة المعالم إلا في مراحلها الأولى والأخيرة، في المرحلة الأولى كانت خلال اعتلائه العرش لأنها

توافق نهاية الحرب البونية الثانية والأخيرة تزامنت مع الحرب البونية الثالثة (كامبس، 2010، صفحة 224)، عمل "ماسينيسا" على تأسيس دولة قادرة على مواجهة التحديات الخارجية، وفي عهده برزت نوميديا في العديد من الميادين الحربية (Kadra-Hadjadji, 2014, pp. 49-51) .

في محاولة لاسترجاع عرشه تمكن "ماسينيسا" خلال أيام من جمع حوالي أربعين ألف فارس، سار بهم نحو تجمعات الماسيل وأثناء ذلك جمع حوالي وأربعة آلاف من الفرسان وستة آلاف من المشاة، وأخذ في الاتصال بأنصاره الأوفياء خاصة في جهة السهول الكبرى التي يكون أهلها من النوميديين قد راهنوا عليه لاسترداد ملكياتهم من يد القرطاجيين، وسيكون الانطلاق في استرداد عرشه من تلك المنطقة باتجاه هيبون وسيرتا، ووجد في المنطقة البونية

الغنية فرصة للحصول على غنائم لتمويل مشروع استرجاع عرشه (عقون، 2010، صفحة 92). ومن بين المعارك التي كان فيها للخيالة النوميديين دورا كبيرا نجد:

- **معركة سلايكا:**

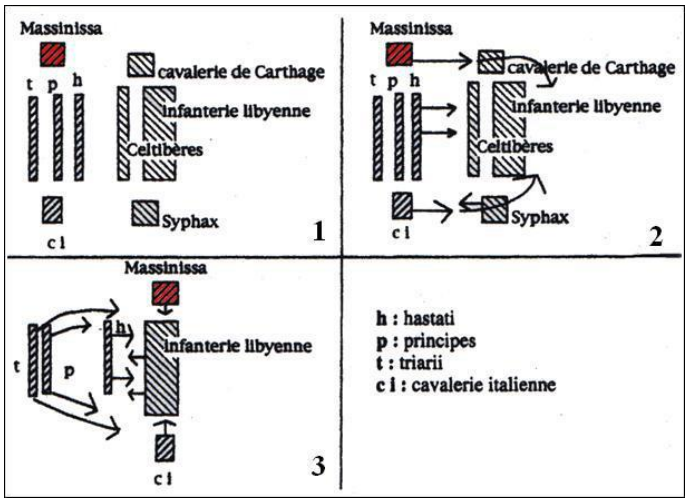
استعدادا للحرب البونية الثانية كانت تحضيرات القوات الافريقية خاصة النوميدية منها تضم حوالي أربعة آلاف فارس تحت قيادة "حنون" ابن "هملكار"، قدم "ماسينيسا" على رأس قوة من خيالته ووقف تحت أسوار "سلايكا" (Salaeca) كنوع من الاستفزاز، وما إن همت قوات حنون الهجوم تراجع "ماسينيسا" مع فرسانه قبل أن تمركزوا في المرتفعات المحاذية للطريق متربصين لهم، وعند خروج الجنود من سلايكا انقض عليهم "ماسينيسا" وفرسانه وتم استدراجهم نحو المرتفعات المحيطة حيث كانت خيالة "سكيبيو" لهم بالمرصاد وفي نفس الوقت عاود فرسان "ماسينيسا" الهجوم مجددا وتم القضاء على حنون وقواته وفر من تبقى من المعركة (Gsell, 1913, pp. 216-2017).

- **معركة السهول الكبرى:**

وقعت معركة السهول الكبرى في منتصف أفريل سنة 203 ق.م، وكان الهدف منها استدراج "حنبعل" ليغادر الأراضي الإيطالية والعودة إلى إفريقيا، وضع "سكيبيو" الفيالق الثلاث حسب التقاليد العسكرية الرومانية،

وفي الجناح الأيسر كان الفرسان النوميديين على رأسهم "ماسينيسا"، بينما في الجناح الأيمن كان الفرسان الرومان، نظم "سيفاكس" و"اصدربعل" جيشهم، فوضعوا في وسط الجيش وفي الصف الأول السلت–ايبريين وخلفهم المشاة الأفارقة، وفي الجناح الأيسر الفرسان النوميديين وفي الجناح الأيمن الفرسان القرطاجيين، ومع بداية المعركة تقهقر الفرسان القرطاجيون أمام ضربات الخيالة النوميديين، كما تراجعت قوات "سيفاكس" أمام القوات الرومانية. فر "اصدربعل" إلى قرطاجة وفر "سيفاكس" إلى سيرتا، وتتبعه "ماسينيسا" مع فرسانه وبعض القوات الرومانية حيث وقعت معركة سيرتا وقبض خلالها على الملك المازيسيلي. (Polybe, 2004, pp. XIV, 2-8) (الشكل:3)

الشكل 3: مخطط معركة السهول الكبرى (بتصرف)



المصدر: (Le Bohec, Y., 2014, p. 246)

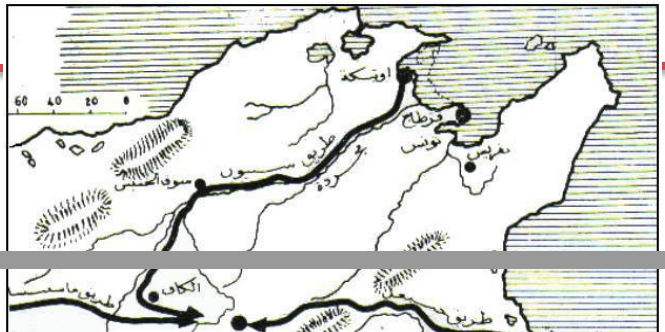
- **معركة زاما:**

قبل معركة زاما التحق "ماسينيسا بـ"سكيبيو" على رأس أربعة آلاف فارس وستة آلاف من المشاة، تولى "ماسينيسا" قيادة الجناح الأيسر على رأس الفرسان النوميديين (Tite-live, 1988, pp. XXX, 33, 16)، أطلق في بداية المعركة صوت الأبواق الذي أخاف الفيلة التي تراجعت وقضت على بعض الفرسان النوميديين المشكلين للجناح الأيسر لجيش "حنبعل" الذي كان يضم خمسين ألف رجل بعدد أقل من الفرسان أمام العدد الكبير من الفرسان الذين كانوا تحت قيادة "ماسينيسا" (Ait Amara, Numides et Maures au combat. Etats et armées en Afrique du Nord jusqu'à l'époque de Juba Ier, 2013, pp. 63-66)، استغل هذا الأخير الفوضى التي حدث في الجناح الأيمن وحمل على الفرسان القرطاجيين الذي كان يقودهم "فرمينا" ابن "سيفاكس"، ما أجبر العديد

من القرطاجيين على الفرار، وقام فرسان "ماسينيسا" مع فرسان "لاليوس" (Laelius) بمطاردتهم، وبعد عملية المطاردة عاد "ماسينيسا" مع فرسانه وهاجم مؤخرة الجيش القرطاجي الذي تكبد خسائر كبيرة (Polybe, 2004, pp. XIV, 1, 14).

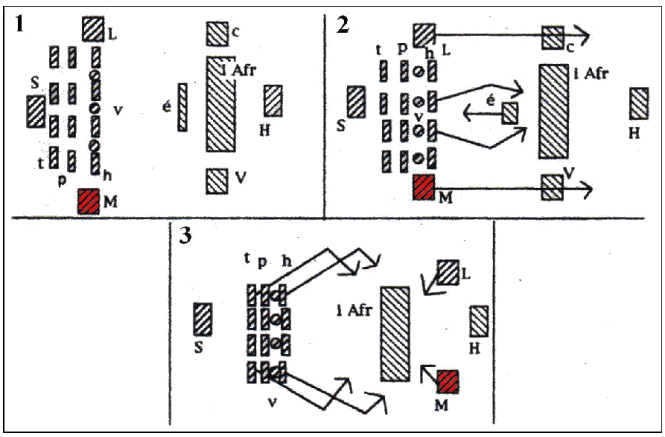
ويعود الفضل في الانتصار في معركة زاما بالدرجة الأولى إلى "ماسينيسا" وفرسانه (Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, II, 1918, p. 263)، الذي كان لهم دور كبير في تحديد نتائج المعركة والقبض على الملك "سيفاكس"، وحسب "قزال" فإن "سكيبيو" ما كان له أن ينتصر على "حنبعل" لولا "ماسينيسا" (Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, II, 1918, p. 308) . (الخريطة: 1،الشكل:4)

الخريطة 01: خطوط سير أطراف معركة زاما 202 ق.م



المصدر: (عقون محمد العربي، 2010، ص 98)

الشكل 4: مخطط معركة زاما (بتصرف)



المصدر: (Le Bohec, Y., 2014, p.251)

3.4 الخيالة النوميديون في حروب "يوغرطا":

تميز "يوغرطا" في شبابه بقوته البدنية وذكائه ولم يخلد إلى حياة الترف والتراخي، لكنه درج على عادات قومه فمارس الفروسية ورمي الرماح ومباراة أقرانه في سباق الخيل (فنطر، 1970، الصفحات 116-117)، أرسله الملك "ميكيبسا" إلى اسبانيا لينضم سنة 134 ق.م ليلتحق بجيش "سكيبيو إيميليانوس" (Scipio Aemilianus) الذي خبر فيه الشجاعة والذكاء فأسند له المهمات الصعبة، وكان في الجيش الضابطين اللذان سيكونان خصومه في المستقبل وهما "ماريوس" (Marius) و"روتيليوس" (Rutilius) (Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord , VIII, 1928, p. 140)، وجمع الشاب النوميدي بين صفتين قلّ أن تجتمعا في شخص واحد، هما البسالة في المعركة والحكمة في الرأي. (Salluste, 1968, p. VII).

كان "يوغرطا" رجلا ذو دهاء سياسي له خبرة كبيرة بشؤون السياسة والحرب ليس في بلاد المغرب فحسب، بل كان عالما بشؤون المشاكل السياسية والاجتماعية التي يتخبط فيها المجتمع الروماني وانتماءات أفراده ما بين حزبي الأشراف العوام، وقد استفاد كثيرا من تجربته العسكرية في اسبانيا حيث خبر المعارك العسكرية وطريقة التعامل مع

الجنود (غانم، 2006، صفحة 76). حاولت روما بعد استيلاء "يوغرطا" على سيرتا أن تنتقم للجالية الإيطالية وأن تستعيد مكانتها في المنطقة، ولن يتأتى لها ذلك إلا إذا أعادت تقسيم المملكة على النمط الذي كانت عليه سابقا، إلا أن الملك "يوغرطا" كان لها بالمرصاد، وقد عمل كل أسلوب الشدة والتظاهر بالضعف والانقياد في بعض الأحيان بغية الإبقاء على وحدة المملكة (فنطر، 1970، صفحة 117).

في أحدى المواجهات التي جمعت "يوغرطا" ضد القنصل "ميتيلوس" (Metellus) تقدم القائد النوميدي بجيشه عبر المرتفعات حيث أخذ كل الخيالة مكانهم بالإضافة إلى نخبة المشاة، وراح ينتقل من فرقة إلى فرقة يحمسهم ويبث فيهم الروح القتالية، وتعمد "يوغرطا" التموقع في المرتفعات، بالإضافة أن النوميديين يعرفون جيدا طبيعة الميدان عكس الرومان، لم يكن يعلم "ميتيلوس" بوجود الجيش النوميدي، فكان أول ما شاهده فرسانا نوميديين قد أخذوا مكانهم وسط أشجار صغيرة، فأدرك أنه قد وقعوا في كمين، فأمر بدعم الجناح الأيمن الذي

كان أقرب لقوات "يوغرطا" بثلاثة صفوف من الجنود بالإضافة إلى رماة السهام والقذائف وأخذت الخيالة الرومان موقعهم في الجناحين.(Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord , VIII, 1928, p. 158)

عندما لاحظ "ميتيلوس" أن القوات النوميدية لم تتحرك ولم تغادر التل خاف على جيشه العطش لأنه موسم تقل فيه المياه، فقام بإرسال نائبه "روتيليوس" مع كتائب بأسلحة خفيفة وقسما من سلاح الفرسان باتجاه النهر لكي

لا يحيط العدو إقامة معسكرهم هنالك قرب النهر، سار الرومان ببطء بسبب طبيعة الميدان، وجعل "ماريوس" وراءه بعد أن كان في الصف الأول، بينما ظل هو في الجناح الأيسر على رأس الخيالة مشكلا الصف الأول، عندما تأكد "يوغرطا" من أن آخر الجيش الروماني تجاوز الصفوف الأولى لجيشه أرسل ألفين من المشاة لاحتلال المرتفعات التي نزل منها جيش "ميتيلوس" لكي لا يحتمي فيه الرومان في حالة تراجعهم، أعطيت إشارة الهجوم فأباد النوميديون الصفوف الأخيرة للجيش الروماني وهاجموا الجناح الأيسر والأيمن وزرعوا الفوضى في صفوف الرومان الذي كانوا يتلقون أغلب الإصابات من بعيد غير قادرين على الرد عليها أو يواجهوا العدو وجها لوجه. تلقى الفرسان تعليمات أنه في حالة الهجوم عليهم من طرف الخيالة الرومان أن يتراجعوا منتشرين في كل الاتجاهات وأن يبتعد كل فارس على الآخر أكبر مسافة ممكنة، وبهذه الطريقة يتم تشتيت الفرسان الرومان والالتفاف عليهم من الخلف ومن

الجوانب، والالتجاء إلى التلال والمرتفعات على البقاء في السهول لأن الخيول النوميدية متعودة على هذا النوع ميادين والمسارات، وتركض بكل سهولة بين الشجيرات عكس خيول الرومان التي كانت تتوقف أمام هذه العوائق .(Salluste, 1968, p. L)

كان النوميديون قد لجئوا إلى طريقة في القتال كان لها أثرا فعالا في سير المعركة وقضت على كثير من الرومان، إذ تجنبوا الالتحام بالرومان فكانوا يقتربون من العدو حتى يستفزونهم، وعندما يتأهب الرومان لقتالهم ومطاردتهم يبتعدون بسرعة تجعل بعض وحداته تتبعهم منفصلة عن الجيش، فتقع في الفخ إذ يحيط بها فرسان "يوغرطا" من كل جانب فيبيدونه (حارش، 2014، الصفحات 53-54) .أثناء زحف "ميتلوس" على مدينة

زاما قام "يوغرطا" بالهجوم على المعسكر الروماني، الذي سقط معظم حراسه تحت ضربات النوميديين، وعاود الرومان الهجوم على مدينة زاما فقدم فيها "يوغرطا" النجدة لسكان المدينة، ودارت بين الطرفين معركة حامية، كان فيها للفرسان النوميديين الدور الحاسم في ظل غياب الفرسان الرومان الذين بقوا في معسكرهم، مما كان له الأثر السلبي على مردود المشاة الرومان في المعركة (فنطر، 1970، صفحة 190)

كان الجيش النوميدي يندفع كتلة واحدة حتى أنك ترى الخيالة مندمجين في صفوف المشاة، ويتقدم الجميع دفعة واحدة، ذلك أن الخيالة يتقدمون في الزحف ليكسروا صفوف العدو ويفتحوا فيها فراغات ليتركوا مجالات للمشاة حتى يتوغلوا بين صفوف العدو ويقاتلوا بكل بسالة، وما وإذا تفرق شمل العدو ولاذ بالفرار ترى الفرسان النوميديين تطاردهم لتقتيلهم أو القبض عليهم، فالخيالة يقومون بتفكيك تراص العدو وفتح فجوات ومطاردة الفارين منه، وكثيرا ما يسعون إلى بث الفوضى في صفوف الرومان، وهي الطريقة الناجعة التي مكنت "يوغرطا"من تسديد ضربات قوية لأعداءه (فنطر، 1970، صفحة 191).

استطاع "يوغرطا" مقاومة الجيوش الرومانية لأكثر من سبع سنوات، بالرغم من الفارق الكبير بين الطرفين فيما يخص العدد والعتاد، ويرجع الفضل في ذلك على اعتماده على حرب العصابات وعمليات الكر والفر والكمائن، واستطاع من خلال فرسانه تطبيق كل هذه الإستراتيجية والخطط لما يتميزون به من قدرة قتالية عالية ومناورات محسوبة.

4.4 الخيالة النوميديون في حروب "يوبا الأول":

أعاد "يوبا الأول" تنظيم المشاة الثقيلة على شكل فيالق منظمة (Himeur-Ensighaoui, 2010, p. 42) ،

وتكوين خيالة نوميديين على الطريقة الرومانية مستعينا بضباط رومان، وتم الإشارة إلى الخيالة الثقيلة لأول مرة في فترة حكم الملك "يوبا الأول"، حيث كان الخيالة في هذه الفترة مجهزون ويختلفون عن الخيالة الخفيفة (Pseudo-César, 1997)حيث حافظ الخيالة على تقاليدهم الأصيلة، والتي برهنوا على فعاليتهم منذ زمن "ماسينيسا" و"يوغرطا" وما فتأوا يفاجئون أعدائها في المعارك ويثيرون انتباه رواة التاريخ الروماني (Himeur-Ensighaoui, 2010, p. 42).

انخرط الملك يوبا الأول في الحرب الأهلية الرومانية التي كانا القنصلين "يوليوس قيصر" (Jules César) و"بومبي" (Pompée) لعدة أسباب، من بينها رد للجميل لـ"بومبي" الذي ساند أبيه الملك "هيمبسال" الثاني

حيث ثبته على عرش المملكة وساعده ضد مناوئيه، بالإضافة إلى محاولة الحفاظ على كيان نوميديا الذي كان حزب قيصر أراد ضمه إلى روما، وهذا ما صرح به "كوريو" (Curion) سنة 50 ق.م (César, 1987, pp. II, XXV)، وكان "بومبي" حاكم لمقاطعة إفريقيا الرومانية التي تضم الأراضي التي كانت تابعة لقرطاجة قبل تدميرها واستطاع تشكيل قوة عسكرية، وفي سنة 49 ق.م قام "قيصر" بإنزال قواته للقضاء على حلفاء "بومبي" في إفريقيا.(Himeur-Ensighaoui, 2010, p. 35)

من بين معارك الملك "يوبا الأول" التي كان للخيالة النوميديون دورا كبيرا فيها نجد معركة باغرادا (Bagradas) –نهر مجردة حاليا–، جاءت هذه المعركة بعد حصار مدينة أوتيكا من طرف الرومان، أثناء الحصار جاء بريد "يوبا الأول" للمدينة يعلن أن الملك آت بقوات كبيرة ويدعو أوتيكا للصمود، غير أن "كوريو" لم يصدق محتوى هذه الرسالة لاعتقاده أن الملك لن يجرؤ على ذلك، غير أن أخبارا مؤكدة أعلمته أن الجيوش النوميدية توجد على أقل

من خمسة عشرين ميلا من أوتيكا، ففك الحصار عن المدينة وسار "كوريو" بجيشه إلى كاسترا كورنيليا حيث يستطيع انتظار الإمدادات (Carcopino, 1950, p. 441)، إلا أنه قرر العودة إلى أوتيكا بعد بلوغه أخبار رجوع "يوبا الأول" إلى مملكته وأن مساعده "سابورا" (Saburra) هو الذي قدم لنجدة المدينة على رأس جيش صغير فقرر حينها القتال، عسكر "سابورا" في الضفة اليمنى لنهر باغرادا على بعد عشرة أميال جنوب أوتيكا، أما "يوبا" فقد

تبعه بكامل جيشه وعسكر على بعد ستة أميال من معسكر "سابورا" على ضفة النهر (Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord , VIII, 1928, p. 22)

في الليل، قرر "كوريو" الهجوم على معسكر "سابورا" بجمع قواته ما عدى خمس فرق تركها لحماية معسكره، وسار الجيش عبر المرتفعات، وبمجرد سماع "يوبا" خبر الهجوم بعث ألفين فارس من الغاليين والإيبيريين، أما "سابورا" لما علم بالهجوم بدأ في التراجع نحو قوات "يوبا" وفي نفس الوقت نحو سهل واسع (César, 1987, pp. II XXIV, XXXVII)، ظن القائد الروماني أن النوميديين يخشون الدخول معه في المعركة فاطمئن ونزل من المرتفعات متعقبا الجيش المنسحب، فاغتنم "سابورا" الفرصة فهاجم الفرسان النوميديون محاصرين الرومان وكلما انفصلت فرقة عن الجيش وتقدمت لكسر الحصار، كان النوميديون يكسرون محاولاتهم، واستمر المدد الذي كان يرسله "يوبا"، فأمر "كوريو" رجاله للالتجاء بالمرتفعات غير أن خيالة "سابورا" كانت قد احتلتها قبله، وقام الفرسان النوميديون بتتبع الفارين والقضاء على الكثير منهم، كانت هذه المعركة ضربة قوية من الملك "يوبا" ضد القيصريين، ولعب القائد "سابورا" دورا رئيسا في هذه المعركة ويعود له الفضل وللفرسان النوميديون في هذا النصر الكبير (Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord , VIII, 1928, pp. 23, 35)

5. خاتمة:

برهن الفرسان النوميديون في الكثير من المواجهات عن قوتهم وإقدامهم من خلال طريقة قتالهم الفعالة رغم تسليحهم البسيط والتجهيز البدائي لخيولهم، لم تركز الكتابات القديمة على الدور الكبير لسلاح الخيالة سواء في الجيش النوميدي أو كفرق مساعدة في الجيشين القرطاجي والروماني، هذا ما أجبر الباحثين على الاعتماد على بعض الاشارات في المصادر الأدبية التي جاءت خلال سرد أحداث المعارك والمواجهات التي شارك فيها الفرسان النوميديون. كان للخيالة النوميدية دورا كبيرا في أغلب الحروب والمواجهات التي شاركت فيها منذ الحروب البونية إلى ما بعد موت "يوبا الأول"، حيث برهن الفرسان النوميديون على قدرة قتالية عالية مكنتهم في التأثير على سير المعارك، من الأمثلة عن المواجهات التي شاركت فيها الخيالة النوميديون واستطاعت أن ترجح الكفة لصالحها، وهو ما نجد في جليا في كثير من المصادر الأدبية على غرار ما ذكره "بوليبيوس" و"تيتيوس ليفيوس" حول الحروب البونية وتوسعات

"ماسينيسا" و"سالوستيوس" حول حرب "يوغرطا" و"الكاتب المجهول" حول الحرب الأهلية على الأراضي الإفريقية.

6- قائمة المصادر و المراجع:

- حارش محمد الهادي. (2014). *مملكة نوميديا: دراسة حضارية منذ القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد*. الجزائر: دار هومه.
- عقون محمد العربي. (2010). ماسينيسا من كفاحه لاستعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة النوميدية. (جامعة باتنة، المحرر) *مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية* ، *11* (22).
- فنطر محمد. (1970). *يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها*. تونس: الدار التونسية للنشر.
- كامبس غابريال. (2010). *في أصول بلاد البربر: ماسينيسا*. (عقون محمد العربي، المترجمون) الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.
- محمد الصغير غانم. (2006). *المملكة النوميدية والحضارة البونية*. الجزائر: دار الهدى.
- Ait Amara, (O.). (2009). *Les soldats d'Hannibal.* Paris: Editions Maison.
- Ait Amara, (O.). (2013). *Numides et Maures au combat. Etats et armées en Afrique du Nord jusqu'à l'époque de Juba Ier.* Ortacesus: Sandhi.
- Carcopino, (J.). (1950). *La république romaine (133- 44 av.J.C).* Paris: Presses Universitaires de France.
- César. (1987). *La Guerre Civile, Trad.* ((. Fabre, Trad.) Paris: Les Belles-Lettres.
- Gsell, (St.) (1913). *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord , I.* Paris: Librairie Hachette et Cie.
- Gsell, (St.) (1928). *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord , VIII.* Paris: Librairie Hachette et Cie.
- Gsell, (St.) (1918). *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, II.* Paris: Librairie Hachette et Cie.

- Himeur-Ensighaoui, (O.) (2010). *Ils ont édifié l'empire, Juba 1er, Tacfarinas, Firmus et Gildon, .* Alger: Casbah éditions.

- Kadra-Hadjadji, (H.). (2014). *Massinissa le grand africain.* Alger: Casbah éditions.
- Le Bohec, (Y.) .(2014). *Histoire militaire des guerres puniques 264-146 av. J.-C.* Paris: Editions Tallandier.
- Polybe. (2004). *Histoire.* (Defoucaul, Trad.) Paris: CUF.
- Pseudo-César. (1997). *La guerre de l'Afrique.* (A. Bouvet, Trad.) Paris: Les Belles-Lettres.
- Salluste. (1968). *Guerre de Jugurtha.* (F. Richard, Trad.) Paris: Editions Garnier.
- Tite-live. (1988). *Histoire Romaine.* (Flobert, Trad.) Paris: Les Belles lettres.